

مناهل العرفان في علوم القرآن

استظهاره حتى يبلغه للناس كما أنزل وكان E يجد من ذلك شدة على نفسه فوق الشدة العظمى التي يحسها من نزل الوحي عليه حتى إن جبينه ليتفصد عرفا في اليوم الشديد البرد وحتى إن جسمه لينقل بحيث يحس ثقله من بجواره وحتى أن وجهه ليحمر ويسمع له غطيط روى مسلم أنه كان إذا نزل عليه الوحي كرب لذلك وتربد وجهه الشريف فاقتضت رحمة الله بمصطفاه أن يخفف عنه هذا العناء فأنزل عليه في سورة القيامة لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه وبهذا اطمأن الرسول ثقة بأن الله قد تكفل له بأن يجمع القرآن في صدره وأن يقرأه على الناس كاملا لا ينقص كلمة ولا حرفا وأن يبين له معناه فلا تخفى عليه خافية منه كذلك قال الله في سورة الأعلى سنقرئك فلا تنسى وقال له مرة ثالثة في سورة طه ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علما . ألا ترى في هذا كله نورا يهدي إلى أن القرآن كلام الله وحده ومحال أن يكون كلام محمد وإلا لما احتاج إلى هذا العناء الذي كان يعانيه في نزول القرآن عليه ولكان الهدوء والسكون والصمت أجدي في إنضاج الفكرة وانتقاء ألفاظها لديه ولما كان ثمة من داع إلى أن يطمأن على حفظه وتبليغه وبيان معانيه أضاف إلى ذلك أن هذه الحال التي كانت تعروه عند الوحي لم تكن من عادته في تحضير كلامه لا قبل النبوة ولا بعدها ولم تكن من عادة أحد من قومه بل كان ديدنهم جميعا تحضير الكلام في نفوسهم وكفى .

الوجه الحادي عشر .

آية المباهلة .

وذلك أن القرآن دعا إلى المباهلة وهي مفاعلة من الابتهاال والضراعة إلى الله بحرارة واجتهاد فأبى المدعوون وهم النصارى من أهل نجران أن يستجيبيوا لها وخافوها ولاذوا بالفرار منها مع أنها لا تكلفهم شيئا سوى أن يأتوا بأبنائهم ونسائهم ويأتي الرسول بأبنائه ونسائه ثم يجتمع الجميع في مكان واحد يبتهلون إلى الله ويضرعون إليه بإخلاص وقوة أن ينزل لعنته وغضبه على من كان كاذبا من الفريقين قال سبحانه في سورة آل عمران فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبنائكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت الله على الكاذبين إن هذا لهو القصص الحق وما من إله إلا الله وإن الله العزيز الحكيم .

ورد أنه لما دعاهم إلى المباهلة قالوا حتى ننظر فقال العاقب وكان ذا